**الأستاذ المسؤول عن المقياس : بن عيسى خيرة .**

**مقياس : مدارس فلسفية يونانية .**

**المستوى السنة الثانية : LMD s3**

**المحاضرة الثامنة : المدرسة الأفلاطونية المحدثة :**Le Néoplatonisme

**الأفلاطونية المحدثة :**Le Néoplatonisme .

مثلت هذه المدرسة المرحلة المتأخرة من الفلسفة اليونانية،إن لم نقل أنها خاتمتها ونهايتها،نشأت بعد قرون من نشوء المدارس اليونانية المتأخرة(الرواقية والأبقورية والشكية)،أما الفترة الفاصلة بينها وبين هذه المدارس والتي امتدت حوالي خمس قرون من تاريخ الأكاديمية الجديدة الى تأسيس الأفلاطونية المحدثة هي فترة تبلور مبادئ تلك المدارس التي اتجهت نحو الفلسفة العملية والشكية لتطهير الروح وتخليصها من شرور ومعاناتها لغاية بلوغ السعادة التامة.

تميزت في عمومها بنزعة شكية بالغة،وإحياء لبعض مبادئ الفلسفة الأفلاطونية،أما من حيث التسمية هناك اختلاف،لأن نزعة أفلوطين وأتباعه لم تكن أفلاطونية خالصة ولم تكن جامعة لكل فلسفته بل فقط لبعض أجزائها،وفي هذا يقول ولتر ستيس"إن كلمة الأفلاطونية الجديدة خطأ في التسمية فهي لا تقوم مقام إحياء أصيل للأفلاطونية.ومما لاشك فيه أن الأفلاطونيين الجدد من نسل أفلاطون،لكنهم نسل غير شرعي.فإن العظمة الحقيقية لأفلاطون تكمن في مثاليته العقلانية،أما أشكال قصوره فترجع في معظمها إلى ميله للأسطورة والتصوف،ولقد أشاد الأفلاطونيون الجدد بأشكال قصوره على أنها هي السر الحقيقي والباطني لمذهبه فاستخلصوها"[[1]](#footnote-2).

أما المؤسس الحقيقي لهذه المدرسة حسب أغلب الدراسات يعود إلى"أمونيوس ساكاس"لكن الممثل الحقيقي لها هو أفلوطين،وكغيرها من المدارس السابقة عليها عرفت تطورا مع بعض الأتباع،أشهرهم فورفوريوس(234م-305م)ويامبليخوس(توفي330م)الذي نشر مبادىء هذه الفلسفة في روما وحينها حدث اتصال بينهما وبين أتباع أفلاطون في الاكاديمية،ظلت الفلسفة نشطة في روما إلى غاية فترة حكم الإمبراطور جستنيان"الذي أمر بإغلاق المدارس في أثينا عام529م،ففر الزعماء بعضهم إلى الإسكندرية وبعضهم إلى جندسابور.

تميزت هذه المدرسة كذالك بمحاولة التوفيق بين بعض الفلسفات السابقة عليه،فنجد ونحن نقرأ التاسوعات إضافة إلى المرجعية الأفلاطونية مرجعيات أخرى أهمها أرسطية وفيثاغورسية وحتى رواقية،هذا إضافة إلى امتزاج أفكارها بديانات الشرق ومذاهبه الأخلاقية و الديانة المسيحية،وحدث ذلك لأن الإسكندرية كانت مركزا لالتقاء كل هذه التيارات والمذاهب الفلسفية والدينية إذ"يمكن اعتبار الأفلاطونية الجديدة تركيبا بارعا للتيارات الفلسفية اليونانية الأربعة الكبرى،أي الأفلاطونية والمشائية والفيثاغورية والرواقية"[[2]](#footnote-3) .

**أ-أفلوطــــين: Plotin**

مصادر معرفتنا بهذا الفيلسوف من تلميذه "فورفوريوس" Porphyre(232-233م)أحد تلامذته المقربين والمؤرخ لسيرة حياته والمصنف لكتاباته وكذالك الباعث للفلسفته من بعده،ولد أفلوطين في "ليكوبوليس"حوالي 202م و204م،يروى عنه أنه بدأ دراسته في الإسكندرية وكان عمره سبعة وعشرون سنة على يد أساتذة كثر،لكنه استقر في الأخير على دراسة الفلسفة على يد أستاذه أمونيوس ساكاسAmmonius Saccas ، بقي معه حوالي إحدى عشر سنة،لجأ بعدها إلى ايطاليا ثم إلى روما اتصل حينها بالإمبراطور الروماني غوردريان Gordien (242م)بقي معه إلى أن توفي،ذهب بعدها إلى أنطاكية،اشتغل كمدرس للفلسفة.دون أفلوطين مجموعة من المقالات كان يدرسها لتلامذته ،لكنه تركها بعد وفاته(270م) غير مرتبة،فقام تلميذه فورفوريوس بترتيبها وفق قاعدة حسابية فجاءت مقسمة إلى ستة أجزاء في كل واحد منه تسعة فصول ومنه سميت بالتاسوعات،وهي منشورة ومترجمة عن الأصل اليوناني**[[3]](#footnote-4)\***.

**ب – فلسفته :**

تنوعت فلسفة أفلوطين بين الكلام عن المبدأ المطلق ونظرية الفيض والنفس والحقيقة لكنها في النهاية كانت تتجه نحو غاية أساسية عمل هذا الفيلسوف كثيرا على التأسيس لها كنظرية فلسفية غايتها تحقيق الإتحاد بالخير المطلق ضمن نزعة صوفية خالصة،ونحن لن نتكلم عن هذه الفكرة الأخيرة دون أن نعرج على مبادئ فلسفته كلها،والتي يمكن أن نقسمها إلى الأخلاق والفيزيقا والميتافيزيقا،وذلك اعتبارا للأقسام الستة التي قسمت إليها كتابات أفلوطين،فـ"التاسوع الأول يتضمن موضوعات في الأخلاق والثاني موضوعات في الطبيعيات،والثالث موضوعات تتناول العالم الكلي،والرابع يختص بالنفس،والخامس بالروح الإلهي والسادس بالخير والواحد"[[4]](#footnote-5).

بداية ستكون الحقيقة هي الغاية القصوى في فلسفة أفلوطين،ذلك أن غاية الكائن الحي تكمن في حصوله على ذلك وعندها يبلغ السعادة القصوى والخير المطلق،ويؤكد ذلك الاتجاه نحو الواحد انطلاقا من الوجود الحسي،إذ يكون للنفس الدور الأكبر في تحقيق ذلك،وهنا تظهر أمامنا ثلاث مفاهيم أساسية جعل منها أفلوطين أقانيما،وهي الواحد،العقل،النفس،حاول من خلالها أفلوطين بناء نظرية متكاملة حول الكون أساسها الفيض.وهو ما سنحاول تلخيصه فيما يلي:

**\*الواحـــد :**L’unique

يولي أفلوطين أهمية خاصة للكلام عن الخير المطلق،أو كما يسميه أحيانا الواحد،وهو الذي لا يمكن معرفته أو وصفه لأنها يتجاوز مستوى التفكير،وكل ما يمكن أن ننعته به ليس حقيقيا في ذاته.

إن معرفة هذا الواحد حسب أفلوطين تكون بالنفس،لأن هذه الأخيرة من هي من طبيعته وإذا اعتمد عليها أمكنته من الوصول إلى الحقيقة المطلقة والخير المحض،وذلك عن طريق العرفان الذي هو من أفعال النفس المنصرفة عن البدن والنازحة إلى الجزء الإلهي الكامن فيها.

أما في تعريفه للواحد يقول:"ذلك الواحد قائم من ذاته في ذاته،وكأنه داخل ذاته في هيكل،وهو باق ساكنا وراء الأشياء كلها"[[5]](#footnote-6)،فهو يتجاوز كل وصف يمكن أن نتصوره به،فلا يمكن أن نقول أنه يفكر أو له إرادة لأن ذلك يخلق تفرقة بينه وبين النشاط المسند له،أي يحصل لدينا تعددا بين الذات وبين الفعل(الإرادة والمريد-المفكر والتفكير)فالواحد سابق عل كل فكر وكل فعل لأنه فوق كل شيء،مطلق ومتناهي،وحتى هذه النعوت الأخيرة لا تسند إليه إلا على سبيل المجاز والتشبيه.

وهو يتميز بالوحدة الخاصة المجاوزة للعدد،وهو سابق في وجوده على الأشياء كلها،بل هو أزلي لم يسبقه شيء في الزمن ،هو خارج عن الزمان لا علة له سابق على كل علة.

أما كيف نشأت الكثرة عنه،فان أفلوطين يقول أن ذلك لم يكن بحركة منه،بل بفيض عنه،ويتصور أفلوطين ذلك بقوله:"نتصوره على أنه إشعاع ينبعث من الواحد،أجل إنه ينبعث من الواحد الذي يبقى ثابتا في ذاته،مثل ذلك مثل الشمس،فإن إشعاعها إنما يكون من حولها وكأنه يحيط بها،وهو ينبعث منها دائما،ثم تبقى على حالها..."[[6]](#footnote-7)،وسنتطرق إلى هذه المسألة بنوع من التفصيل في العناوين اللاحقة.

**\* النفـــس:**

جوهر فلسفة أفلوطين يتجلى في مسألة النفس باعتبارها المرآة التي يتجلى فيها عالم الحق،والنفس أصلها إلهي نزلت إلى عالم الحس واتصلت بالأبدان،لكن يبقى لها اتصال بعالمها من حيث شوقها ونزوعها إليه:"من العالم الأعلى ثم تجيء إلى العالم الأسفل،وهي لا تزال مرتبطة بما بقي فيها في العالم الروحاني بعد أن أخذت تجري إلى هذا العالم،مثلما ينبعث الشعاع إلى مركزه "[[7]](#footnote-8) .

فالنفس من ناحية أصلها تكون غير قابلة للقسمة بل هي واحدة"إذ جعلنا الوحدة قائمة في ذاتها غير واقعة في الأجسام"[[8]](#footnote-9)،،أما من ناحية اتصالها بالعالم الحسي فهي قابلة للانقسام من حيث وجودها في أبدان متعددة فالتجزء إذا من حيث أنها"في كل جزء من أجزاء البدن"[[9]](#footnote-10).

أما من حيث علاقتها بالبدن فهي التي تسيره وتدبر أموره"فإن لها بقوة ما هي عليه في ذاتها السيادة المطلقة على الجسم"،وهي ليست البدن ولا تشكل معه وحدة ،لأنها لو كانت كذلك لأصبحت محدودة بالمكان أو موجودة في حيز ما،ومن كان كذلك لا يليق بمن هو من طبيعة إلهية،فهي مفارقة له مصدر حركته إذ تدفع الجسم إلى فعل الأشياء التي تريدها هي.

أما مصير النفس فهي لا تفسد بفساد البدن،بل تعود إلى عالها العلوي إذا كانت صافية نقية،أما إذا بقي فيها بعض جهلها وفسادها فإنها تحل في جسم آخر،وتلك هي "السنَّة الإلهية"كما يسميها أفلوطين،والتي على إثرها تتحرك النفس نحو مصيرها الذي هو مقدر عليها،فيقع عليها العقاب الذي هو الآخر محدد بالسنَّة الإلهية فتشعر النفوس التي هي في البدن بالعذاب عكس النفوس الأخرى غير المقيمة في البدن التي تعيش حياتها في صفاء ونقاء في العالم الروحاني،هذا الاخير الذي لا يمكن ادراكه بالحواس ولا يمكن معرفته والنفس في البدن.

يتكلم كذلك أفلوطين عن مسألة التذكُّر ،وهو يتساءل هل عندما تنزل النفس إلى العالم السفلي تتذكّر ما كانت عليه وما كانت تعرفه؟ويجيب أن التذكُّر هو خاصية النفس،أما النسيان هو من خصائص البدن،وتذكر النفس لا يجب أن يفهم بالمعنى الذي يجعل منه فطرة،أو كما يقول:"ولذلك وجب في النفس أيضا أن لا يقال عنها أنها تتذكر بالوجه الذي نعنيه هنا عندما نُسند إليها التذكُّر بما لديها فطرة وجبلة،بل يعني هذا التذكُّر أنها ما دامت في هذا العالم كان لديها آنذاك حاضرا فيها ثم لا تتحققه فعلا لا سيما إبـَّان مجيئها إلى البدن"[[10]](#footnote-11)،ذلك لأن البدن يمنعها من ممارسة أفعالها واسترجاع ما كانت تعرفه في العالم العلوي،لأنها إذا"جاءت إليه كانت حاملة في جنباتها كل ما لديها،كامنا بعضه بالقوة،ولكن بعضه الآخر قائم بالفعل،فاعل أفاعيله.فضلا على أن البدن يَحُولُ بين الذاكرة وبين عملها"[[11]](#footnote-12)،فالبدن إذا هو مصدر النسيان.

يضيف أفلوطين أن النفس في العالم السفلي يمكنها أن تتطلع على عالم الحق ويمكنها أن تتطهر من كل ما يشغلها عنه،فإذا أرادت حتى في هذه الدنيا أن ترتقي إلى عالم الروح،خلعت عنها سائر الأمور كلها،ولو كانت لا تزال مقيمة في هذا العالم"[[12]](#footnote-13)،أما أنها إذا رجعت إلى أصلها واستقرت في العالم الروحاني فإنها لا تتذكر أي شيء عن إقامتها في الجسد،لأنها هناك تكون منشغلة فقط بما يتناسب وطبيعتها،ثم إن النفس لا تحتاج إلى تذكر شيء لأنها في مكان تكون فيه كل المعرفة متاحة.

إن المادة أو الهبولى التي منها حسم الإنسان هي مصدر الشر والرذيلة عند أفلوطين،لذلك وجب على النفس العمل على التخلص من ظلمته والتحرر من شروره،وذلك لا يكون إلا عن طريق التطهير،والتوجه إلى التأمل والفلسفة حتى تتمكن من التدرج في مراتب المعرفة لإدراك المقام الأعلى وهو مرحلة المشاهدة،والنفس الإنسانية يمكنها ذلك لأنها من طبيعة إلهية وحاملة لخصائص العالم الروحي،فلا يصعب عليها معرفة ما هو أصلي فيها،وذلك من خلال حالة باطنية يكون الحدس هو طريق تحقيق الإشراق.

**\*نظرية الفيض:**

يحاول أفلوطين في الفصل الأول من التاسوعة الخامسة الخاص بالأقانيم الثلاثة،أن يجيب عن كيفية نشأة الأشياء من الواحد،فيتساءل"كيف لم يبقى ذلك الواحد مع ذاته في ذات،بل تدفقت منه الكثرة بالقدر الذي نعرفه؟وهي كثرة نتبينها في عالم الوجود من ناحية ثم نرى من ناحية أخرى أنه من الحق عليها أن نردها إلى الواحد"[[13]](#footnote-14)، إن وجود الأشياء لم يصدر عن حركة من الواحد لأنه خال من الحركة،فما ينشأ في الأول عن الواحد لا يكون عن طريق الحركة،لأن هذه الأخيرة تكون سببا فيما ينشأ في المقام الثالث بعد العقل(الروح)الذي هو بمثابة نسخة عن الأصل يحمل طبيعته وخصائصه فيكون أزليا،وهو أعظم الأشياء في الوجود وأعلاها مرتبة،يمكنه أن يشاهد الواحد ويتطلع لكنه لا يوجد بذاته بل يحتاج إلى الواحد في وجوده،أما الواحد فلا يحتاج إلى العقل لأنه علته ومبدأه،ومن العقل ينشأ ما هو في المقام الثالث الذي هو أدنى مرتبة منه ووجوده نابع من حركة سابقة عليه هي حركة العقل فالواقع هو أنه يجب في ما ينشأ في الملأ الأعلى ألاّ يقال عنه أنه ينشأ من الواحد وقد تحرك.وانْ نشأ من الواحد وقد تحرك،فإن ما ينشأ عن الواحد آنذاك بعد الحركة،إنما يكون في المقام الثالث وليس في المقام الثاني.إن كان بعد الواحد شيء في المقام الثاني إذا،فإنما يجب في هذا الشيء أن يقوم في ذاته،والواحد آنذاك لا يزال ساكنا،غير مائل إلى الشيء ولا يريده،ولا يأتي بحركة مطلقا"[[14]](#footnote-15).

إن نفي نشأة الكثرة من الواحد عن طريق الحركة كان لغرض نفي فعل الخلق عنه،لأن هذه الأخيرة هي في النهاية عبارة عن نشاط ما،وإسناده إلى الواحد يجعله محلا للحوادث،وهو ما ينفي عنه صفة النزاهة ويجعله مشتركا مع الأشياء في طبيعتها فلا يكون بذلك مبدأ.

صدور الكثرة إذا يكون عن طريق ما يسميه أفلوطين بالفيض،لأن مبدأ الضرورة يفرض أن الأدنى يصدر عن الأعلى مرتبة،فتصدر النفس عن العقل،والعقل يصدر عن الواحد،أما الأشياء الطبيعية فتصدر عن النفس،وهكذا يفترض أفلوطين سلما تتدرج فيه الموجودات الإلهية والطبيعية من الواحد،من أعلاها مرتبة إلى الأدنى،وهذا الفيض أو الصدور لا يؤثر في طبيعة المبدأ الأول(الواحد)؛بل يبقى كما هو في ذاته.

أما العقل فهو الأعلى مرتبة وجد أولا وهو مثال،لأن ما يجب أن يفيض أولا عن الواحد لابد أن يكون مثال الكل،"إذ أن ما يخرج من الملأ الأعلى لا يقال فيه شيء غير المثال،وليس مثال شيء جزئي،بل إنه لا يبقى متسع لمثال آخر بعد ذلك..."،أما الواحد هو منزه كما بينا وبذلك لا يكون مثالا بل يعلوا على كل مثال،وعندما نقول أن العقل منزه فذلك من ناحية أن النفس تتطلع وتتوجه إليه.

1. المرجع السابق،ص240. [↑](#footnote-ref-2)
2. ماجد فخري،تاريخ الفلسفة اليونانية،ص185. [↑](#footnote-ref-3)
3. \*أفلوطين، تاسوعات أفلوطين،ترجمة فريد جبر،مراجعة جيرار جهامي-سميح دغيم،مكتبة لبنان ناشرون،الطبعة الأولى 1997. [↑](#footnote-ref-4)
4. نفسه،ص :ك. [↑](#footnote-ref-5)
5. المصدر نفسه،ص430. [↑](#footnote-ref-6)
6. المصدر نفسه،ص 430. [↑](#footnote-ref-7)
7. نفسه،ص301. [↑](#footnote-ref-8)
8. نفسه،ص309. [↑](#footnote-ref-9)
9. ا نفسه،ص301. [↑](#footnote-ref-10)
10. نفسه،ص328. [↑](#footnote-ref-11)
11. ا نفسه،ص330. [↑](#footnote-ref-12)
12. نفسه،ص334. [↑](#footnote-ref-13)
13. نفسه،ص 430. [↑](#footnote-ref-14)
14. نفسه،ص 430. [↑](#footnote-ref-15)